

❁ التحدي ركن في إعجاز القرآن الكريم

- دراسة في مفهومه وشروطه -

أ. فتحي بودفلة*

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية

fethinew@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/01/15

تاريخ الاستلام: 2020/12/02

ملخص:

تطرق الباحث لموضوع "الإعجاز في القرآن الكريم" وعلاقته بمفهوم "التحدي" الذي اعتبره ركنه الركين، فعرفه وذكر ظوايطه وكثير من أبحاثه ومسائله، وانتظم كل ذلك في مطلبين اثنين.

وخلص المقال لنتائج أهمها أن الإعجاز لا يصحّ دون "التحدي" الذي يفرّق بين مطلق دلالات البراهين والآيات...، وبين مفهوم المعجزة.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، القرآن الكريم، التحدي، المعجزة.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

يخطئ من يظن أنّ الإعجاز هو مطلق نقض العادة وعدم القدرة على المعارضة، ويخطئ من يسوي بين المعجزة والبرهان، فيسمي كل ما يثبت به ربانية القرآن الكريم وصدق النبوة معجزة وإعجازاً... إنّ أهم ما يميّز المعجزة عن البرهان، وأهم ما يفتقر إليه مفهوم الإعجاز هو التحدّي... فهو ركنه الركين لا يُتصوّر دونه، ولا تسمى الظاهرة معجزة إلا إذا اقترنت به... سنحاول من خلال هذه الدراسة التعرّف على مفهوم التحدّي وعلى ضوابطه وشروطه وكثير من أبحاثه ومسائله، ويعتقد الباحث أنّ الوقوف على حقيقة الإعجاز من شأنه أن يحدّد ويقلص الخلاف في أوجه إعجاز القرآن الكريم؛ انطلاقاً من انعدامه في بعض الأوجه المزعومة، أو فقدان بعض أركانه وشروطه في أوجه أخرى.

وقد انتظم المقال في مقدمة للتعريف بالموضوع وخاتمة لعرض نتائجه، يتوسطهما مطلبان أولهما للحديث عن حقيقة التحدّي في اللغة والاصطلاح، وثانيهما للحديث عن التحدّي في القرآن الكريم، تفسيره، أنواعه، مسائله وكل ما يتعلق به...

المطلب الأول: التحدي في اللغة والاصطلاح:

التحدي في اللغة:

التحدي، مصدر تحدى، جعله الخليل في العين من مادة (ح د و)¹ وقال: فلان يتحدى فلانا أي يباريه وينازعه العكبة. وذكر من استعمالاته وتصريفاته الحدياً، كقولهم: أنا حدياك بهذا الأمر، أي ابرز لي وجاري² ومنه قول عمرو بن كلثوم:

حدياً الناس كلهم جميعاً مقارعة بينهم عن بنينا

وفي الأثر جاء أعرابي إلى مسجد رسول الله ﷺ فقال: يا شربة السويق، أنا حدياكم صراعاً، فقال طلحة بن عبيد الله: ليقومن إليه رجل منكم، أو لأقومن إليه.³

والحدياً بالتصغير، اسم من التحدي⁴

والحدياً بمعنى المخاطرة⁵ وهذا الاستعمال ليس بعيداً عن دلالة المبارزة لاشتراكهما في معنى المقابلة والمنازعة والشحناء...

والحدياً والتحدي بمعنى النذب والدعاء إلى الشيء⁶

وذكر في جمهرة اللغة أن الحدياً هو التعرض، يقال: تحدى فلان لفلان، إذا تعرض له للشر.⁷ ومنه الحادي المتعمد للشيء، يقال حداه وتحذاه وتحراه بمعنى واحد... ومنه قول مجاهد: كنت أتحدى القراء فأقرأ، أي أتمد، وقال ابن الأعرابي مثله: قال: وهو حدياً الناس أي يتحداهم ويتعمدهم.⁸

¹ وفي مختار الصحاح، ص. 68 (ح، د، و)، وفي تهذيب اللغة 5/121 (الحاء والdal وحرف العلة) (ح، د، و)، في القاموس المحيط 1273، من (ح، د، ي)

² العين 3/279.

³ الدلائل في غريب الحديث 2/703

⁴ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم 3/1362.

⁵ المخصص 4/266.

⁶ المخصص 4/493.

⁷ جمهرة اللغة 3/1272.

⁸ تهذيب اللغة 5/121، الغريين في القرآن والحديث 2/416

ومن دلالاته الأواخر قال ابن الأعرابي: الهوادي أوائل كل شيء والحوادي أواخر كل شيء.⁹

ذهب الزمخشري إلى أن أصله مأخوذ من التباري في الحداء، الحاديان يتعارضان، فيتحدّى كل منهما صاحبه، أي يطلب حذاءه...¹⁰ ويرى ابن فارس أن أصل هذه المادة هو السَّوق¹¹ (أه). والتأمل في جميع الاستعمالات المتقدمة يجد فيها معنى السَّوق كالحِدْو والجلب والعمد والتعرض والندب وقال أيضا في معنى المباراة والغلبة: "وهو من هذا الأصل؛ لأنه إذا فعل ذلك فكأنه يحذوه على الأمر."¹²

فالتَّحدّي انطلاقا من مادته المعجمية وأصله ومختلف استعمالاته يدلّ على المباراة والمنافسة التي تنتهي بمقدّم ومتأخّر، متقدّم يدعو المتأخّر، ويسوقه ويندبه لخدمة المباراة، والمتقدّم الذي دعا للمعارضة قد دعاه راغبا في فضحه وكشف ضعفه وعوره...

ثم إن الصياغة الصرفية لكلمة التَّحدّي وبنيتها تفيد في نفسها معاني غاية في الأهمية والخطورة مثل التَّعدي فلا تحدّي إلا بوجود طرف يدعيه وطرف يقع عليه، ومعنى القصد والمعالجة المستفادة من صيغة التفعيل، ومعنى الحدث الذي هو المباراة والمنافسة والمشاحنة المستفادة من دلالة المصدرية...

التحدّي في الاصطلاح:

التَّحدّي هو طلب المعارضة على شاهد دعواه¹³، وقريب من ذلك تعريف البكري في التعريفات الفقهية: هو المباراة في فعل والمنازعة للغلبة أو طلب المباراة على شاهد دعواه¹⁴ فهو في الاصطلاح ليس مطلق السَّوق والعمد والندب، بل هو سَّوق خاص، هو دعوة وندب إلى التباري والتنافس من أجل إثبات عدم قدرة الخصم على تحصيل أو إدراك

⁹ تحذيب اللغة 5/121

¹⁰ تاج العروس 37/410

¹¹ مقاييس اللغة 2/35

¹² المصادر نفسه.

¹³ دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) 1/190.

¹⁴ التعريفات الفقهية ص 52

شيء مخصوص. وهذا المفهوم - من حيث أصله - قد وجدناه في بعض الاستعمالات اللغوية المتقدمة.

والتَّحْدِي في الاصطلاح لا بدّ له من ضوابط وقواعد حتى تقوم به الحجة عند المخاصمة والمبارزة، ولعلّ هذه الشروط والمعالم التي نوردّها في المطلب الموالي هي أهمّ ما يُضَبِّطُ به، وتثبت بها قوّة وتقدّم التَّحْدِي وضعف وخوَر وتأخر التَّحْدِي.

شروط التَّحْدِي:

لا يُتَصَوَّر التَّحْدِي حجة على الخصوم، صحيحا عند أهل المعرفة إلّا بهذه الشروط الآتية الذكر:

أ. لا يُتَّحَدَّى إلّا بما يُتَيَقَّن من عدم قدرة المتحدين على معارضته، فليس من الحكمة ولا من سلامة العقل أن يُقَدِّم أحدهم على تحدي غيره فيما يشك في تقدمه وقوّته فيه، لا يُقدّم على التَّحْدِي إلّا مَنْ تيقّن من قوته وقدرته على مجابهة غيره وتفوّقه عليهم في وجه ونوع تحديه...

ب. أن يكون مقرونا بالمعجزة لا متقدما أو متأخرا عنها: قالوا لا معنى لتقدم التَّحْدِي على المعجزة، لأنّ في ذلك حجة عدم وقوف المتحدين عليها، ولا معنى لتأخر التَّحْدِي عن المعجزة لأنّ المعارضة متعلقة بالمعجزة وقد انقضت عند وقوع التَّحْدِي، فلا وجه مثلا للتَّحْدِي اليوم بميلاد عيسى عليه السلام من أمّ دون أب، ولا حجة اليوم في التَّحْدِي بفلق البحر وفتحه لموسى عليه السلام، ولا حجة اليوم في التَّحْدِي بعدم إحراق النّار... ونحو ذلك.

ومّا قاله أبو البقاء الحنفي (1094هـ) في هذا الشأن في كتاب الكليات: "والخارق: معجزة إن قارن التحدي، وإن سبقه لإرهاص، وإن تأخّر عنه بما يُخرجه عن المُقارَنة العُرفيّة فكرامة فيمَا يَظْهَر".¹⁵

ت. الإعلان والانتشار (قرينة العلم به): لا يصحّ التّحدّي إلّا إذا أعلنه صاحبه بين المتحدّين به، فلا يَحْتَجُّ - بعد ذلك - بعضُهم بعدم بلوغه خبر التّحدّي وإعلان المباراة والمبارزة... فيبطل بذلك التّحدّي بسبب عدم بلوغه للمتحدّين.¹⁶

ولا حجة لبعض المتأخّرين من اليهود والملحدّين ممن زعم عدم العلم بتحدّي النبي ﷺ بالقرآن الكريم¹⁷، من جهتين اثنتين أوّلها أنّ العلم به قائم ثابت عند العامة والكافة فلا حجة لبعض الخاصّة إن نفوه عن أنفسهم، وثانيهما أنّ التّحدّي - على القول الراجح - لا يزال قائماً ومستمرّاً؛ فإذا كانوا جهلوه من قبل فما هم اليوم يقرون بالعلم به، فهلا أقبلوا على معارضة القرآن والإتيان بمثله...؟!

ث. أن يكون واضح الدلالة: أن تكون دلالاته على التّحدّي واضحة لا شبهة فيها ولا لبس، حتّى لا يحتج المعارض بنص المتحدّي أنّه لم يفهم منه قصد التّحدّي...

ح. أن يكون فيما يستطيعه ويحسنه المتحدّي به: لا حجة في تحدي من لا قدرة له ولا دراية بما يُتحدّى به، فلا وجه لتحدّي القويّ ضعيفاً هزيل الجسم في المباراة، ولا وجه لتحدّي سليم البنية أعرجاً في العدو والسباق...

ج. أن يصحبه الزمن الكافي لوقوع المعارضة: حتى يكون التّحدّي حجة لا بدّ أن يصحبه الوقت الكافي والمناسب لإجابة التّحدّي ومعارضة المعجزة... فلا وجه للتّحدّي ثم إعلان التفوق وعدم المعارضة مباشرة... دون ترك مهلة للمتحدّين يجهزوا أنفسهم ويستجمعوا قواهم.

د. انتفاء موانع المعارضة: وموانع المعارضة بعضها سلبي كنحو انتفاء شرط من الشروط المنصوص عليها هنا، وبعضها إيجابي كنحو وجود عاهة أو علة تمنع المعارضة...

¹⁶ قحطان عبد الرحمن الدوري (عميد كلية الدراسات الفقهيّة والقانونية بجامعة آل البيت) دار البشير عمان، مؤسسة الرسالة: بيروت،

ط. 1، 1417 هـ 1997 م. ص 11

¹⁷ المرجع نفسه.

ذ. أن يقع فيما يكون محسوساً: مرأياً أو مسموعاً فلا يُتحدى بأعمال القلوب غير المرئية مثلاً، لعدم إمكانية التأكد من وقوعه، أو بلوغه، كمن يتحدى بمجرد التمني، أو التخيل، فقد يزعم المُتحدى أنه أجاب التحدي وعارض المعجزة... غير أننا لا يمكننا التأكد من ذلك لتعلقه بعمل خفي¹⁸.

ر. وجود مقتضى الإجابة: لا يصح التحدي ويحتج به إلا إذا صاحبه وجود مقتضى الإجابة والمعارضة... فلا وجه لتحدي ملاكم معتزل ببطولة العالم لأنه باعتزاله قد انتفى في حقه مقتضى المنافسة بخلاف الملاكم الذي ينافس على هذه البطولة ويسعى لها...

المطلب الثاني: التحدي في القرآن الكريم

تحديد آيات التحدي وتعيينها:

- آيات سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِنَارِ الْآزِقِ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23-24]
- آيات سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ لِّكُتُبٍ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس 37-38]
- آية سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود 13]
- آية سورة الإسراء: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء 88]
- آية القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص 49]

■ آيات سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾
[الطور 33-34]

مقدار المتحدى به من القرآن الكريم:

يمكننا معالجة هذه المسألة من خلال التفريق بين أقل، وأكثر ما وقع به التحدي.

- أكثر ما وقع به التحدي القرآن كله عند جماهير أهل العلم لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]

واختلفوا في أقل ما وقع به التحدي إلى أقوال منها:

- ✓ أقل ما وقع به التحدي سورة من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38]، وأقل ما يسمى سورة في القرآن الكريم، ثلاث آيات تسوّرت في نسق موضوعي مؤحّد، واتّسقت معه ألفاظها وأصواتها، وهذا مذهب الجمهور.

وقيل لا حدّ لقليله، فالقرآن كلّ معجز قليله وكثيره، والتّحدي واقع بما هو معجز...
نُسب هذا القول لابن حزم الظاهري¹⁹، والناظر المتأمل في كلام ابن حزم في المسألة²⁰ يجد نوعاً من التداخل في الاستدلال بين المقدار الذي تتجلى فيه مظاهر الإعجاز والمقدار المتحدى به، فهو يستدل ببعض مظاهر إعجاز القرآن فيما هو أقل من سورة على نفي تحديد مقدار التّحدي بسورة... والصواب أنّ مظاهر إعجاز القرآن الكريم في أصواته ومفرداته إنّما تصح متعلّقة بسوره وسياقاته...؛ فلا يمكن بحال من الأحوال اعتبار صوت السين في سورة التّاس مثلاً معجزاً بذاته، ولا اعتبار مفردة ﴿ضُرِيكَ﴾ [النجم: 22] معجزة في نفسها، بل صوت السين له دلالاته المعجزة في سياق السورة كلّها، وكلمة ضيرى لها دلالاتها ووقعها المعجز في سياقها وموضعها ذاك.

¹⁹ ينظر التحدي بالقرآن الكريم، محسن سمح الخالدي ص 10.

²⁰ الفصل في الملل والنحل 3/13

مستويات التحدي بالقرآن الكريم:

- التحدي بما هو أفضل وأهدى وأقوم من القرآن كنحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: 49]
- التحدي بالمماثلة: سواء القرآن كله أو بسورة منه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38]

والمماثلة هنا، متعلقة بنظم القرآن الكريم وبلاغته، وسنفرّد دراسة خاصة لهذه المماثلة المقصودة والمعنية بالتحدي.

- التحدي بالمماثلة المقيدة بالافتراء مفتريات: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13]

المقصود هنا هنا عشر سور مماثلة للقرآن الكريم في لغته وبلاغته ونظمه، على أن تكون معانيها ودلالاتها من تصرف المعارضين يحدثوا فيها ما شاءوا.

- التحدي بسورة "من" مثل القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23]

تنزل القرآن في تحديّه من الإتيان بما هو أفضل إلى المماثلة المطلقة، فالمماثلة في النظم دون المضمون، إلى المماثلة المبعضة أو المضعفة بحرف الجرّ (من).

أنواع التحدي باعتبار ظهوره وإعلانه:

- التحدي الظاهر: هو التحدي الصريح كنحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23] فاللفظ نص في دلالاته لا يحتمل سواه، ولا يمكن تأويله بخلاف دلالة التحدي... وهذا النوع من التحدي هو الذي ذكره الباحثون واهتم بدراسته المختصون، والذي ورد في سورة القصص الآية: 48-50، وسورة الإسراء الآية: 88، وسورة يونس الآيات: 37-38، وسورة هود الآيات 13-14، وسورة الطور الآيات: 33-34.

• **التحدي المشار إليه:** هي التي تضمنت معنى التَّحْدِي دون لفظه، أو ما دلَّ على التَّحْدِي دلالة ظنية، أو مع احتمال دلالة غيره²¹، من أمثلته قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت، 51]. ذكر الأستاذ قحطان عبد الرحمن في كتاب التحدي في آيات الإعجاز، مجموعة من الآيات أدرجها في هذا النوع من التَّحْدِي منها [هود1]، [إبراهيم1]، [الحشر، 21]، ثم ختم بقوله: "ونظائرها كثير، وهي تحرك الطبع، وتقوي الداعي إلى المعارضة."²²

• **التَّحْدِي اللازم:** يذكره كثير من المهتمين بالإعجاز العلمي، فيزعمون أن مواجهة المخاطبين بالخارقة يقتضي التَّحْدِي، وإن لم يصرَّح به النبي صاحب المعجزة عليه الصلاة والسلام، فقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَالْشَّقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: 1-2]

فمن هذه الأنواع جميعها لا يصلح للتَّحْدِي إلا النوع الأول، لأن النوعين الآخرين يتركان مخرجاً للمتحدَّى فيحتج بعدم وضوح دلالة التَّحْدِي، أو عدم فهمه، ونحو ذلك... وقد تقدَّم في شروط التَّحْدِي أنه لا يصح ولا تقوم به الحجّة إلا بتوفر الوضوح والشهرة والإعلان.

دلالات ترتيب آيات التحدي باعتبار النزول:

الراجح في ترتيب هذه الآيات أن أول ما نزل منها آية القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٩﴾ بعدها آية الإسراء: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿١٣٠﴾

²¹ قحطان عبد الرحمن الدوري، التحدي في آيات الإعجاز ص12

²² المرجع نفسه.

فآيات يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

وبعدها آية هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود 13]

ثم آيات سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بِكَلَامٍ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وآخر ما نزل منها آيات سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ آلَتِي وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة 23-24]

إذا كان ترتيب السور بهذا الشكل المتقدم هو الراجح، فإنه لا شيء يؤكد أن آيات هذه السور مرتبة باعتبار نزولها وفق هذا الترتيب ذاته، فقد كانت الآية من السورة تنزل بعد نزول أولها، بل وبعد نزول غيرها من السور، فتأخر في النزول عن أوائل سورتها وعمّا نزل بعدها، ولكن حين كتابتها وجمعها يأمر رسول الله ﷺ الكُتّبة بإلحاقها بسورتها؛ لهذا ينبغي الإشارة إلى أن هذا الترتيب مهما بلغ من الصحة في النقل، والتحقيق في النظر، يبقى اجتهادا يحتمل الخطأ والصواب.

أكثر المتقدمين على أن دلالات آيات التحدي باعتبار نزولها متعلقة بمقدار التحدي ومستوياته، فأول ما نزل التحدي، نزل بكتاب كامل أهدى من القرآن نفسه وأقوم²³، ثم تحداهم بمثله²⁴، ليتحداهم بعد ذلك بسورة مثله²⁵، ثم بعشر سور مفتريات²⁶، ثم بحديث

²³ التحدي الوارد في سورة القصص 49.

²⁴ التحدي الوارد في سورة الإسراء 88.

²⁵ التحدي الوارد في سورة يونس 37-38.

²⁶ التحدي الوارد في سورة هود 13.

مثله²⁷، وأخيرا بسورة من مثله²⁸، فكأنَّ تحدّي المعاندين بدأ أوّل ما بدأ بما هو خير من القرآن، ثم لا يزال ينتزّل ويخفّف حدّته ومستوياته، إلى أن بلغ تحدّيهم بسورة تقاربه، أو تماثل بعضه... على اختلاف بين أهل العلم في مراحل هذا التدرج وتفصيلاته...²⁹

بينما يرى سيد قطب رحمه الله أنّ هذا الترتيب الزمني غير مراد، وأنّ التحدي كان يُراعي الطرف المقابل له، والقرآن كلّهُ مُتحدّي به بعضه، وكلّهُ، وأنّ هذه الأوجه المُتحدّي بها جميعها حجة على خصوم القرآن والمعاندين والجاحدين... قال رحمه الله: "إنّ التحدي كان يلاحظ حالة القائلين وظروف القول... فيقول مرة اتّوا بمثل هذا القرآن، أو اتّوا بسورة أو بعشر سور دون ترتيب زمني، لأنّ الغرض كان هو التّحدّي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن، كله أو بعضه أو سورة منه على السواء، فالتّحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره، والعجز كان عن النوع لا عن المقدار، وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة، ولا يلزم ترتيب، إنّما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون."³⁰

وسواء أخذنا بالقول الأوّل أو الثاني، فإنّ المسألة والله أعلم لا تعدو من حيث تأثيرها الميداني زمن رسول الله ﷺ، وزمن نزول الوحي، أما وقد انقضى الوحي فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والحجة في دلالات الآيات لا في أسباب نزولها، ونحن مُتعبدون بمجموع آيات التّحدّي لا ببعضها، ومطالبون بها كلّها جملة ودفعة واحدة، ولا يصح التعامل معها بذاك التدرج الذي نزلت به...³¹

²⁷ التّحدّي الوارد في سورة الطور 33-34.

²⁸ التّحدّي الوارد في سورة البقرة 23-24.

²⁹ التّحدّي بالقرآن الكريم، محسن سميح الخالدي ص18...

³⁰ في ظلال القرآن 4/523

³¹ ينظر تفصيل مذاهب العلماء واختلافهم في ترتيب نزول آيات التّحدّي عند: قحطان عبد الرحمن الدوري، التحدي في آيات الإعجاز، ص.35 وما بعدها، ومقال: إعجاز القرآن، آيات التّحدّي، محمد سعاد جلال، مجلة منير الإسلام، السنة 20، ع.4. جمادى الآخرة 1382هـ، ابتداء من الصفحة 113. المقال منشور في موقع مجلات نور المتخصصة.

دلالات ترتيب آيات التَّحْدِي في المصحف الشريف:

الترتيب في المصحف متعلق بمقاصد عدّة، قد يكون أهمّها وأوثقها حجم السورة وعدّها آياتها، وكذا الوحدة الموضوعية لكلّ سورة، ثم السياق الذي وردت فيه الآية المخصوصة بالدراسة.

ولعلّ أهمّ الدلالات التي يمكننا استنباطها من هذه الآيات انطلاقاً من موضعها وترتيبها في المصحف الشريف، ما يأتي ذكره:

• **الآية الأولى:** ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة 23-24]. إنّ السياق -سابقه ولاحقه- يشير إلى أنّ آيات التَّحْدِي في سورة البقرة موجّهة لعموم الكافرين³²، المحاربين منهم والمحايدين، الكافرين منهم والمنافقين، مشركي العرب وأهل الكتاب... وهذا التعميم هو الذي اقتضى نوعاً من التخفيف في التَّحْدِي والطلب، لأنّ أكثر المخاطبين به ليسوا من أهل اللسان العربي... ولا يُستبعد أن يرى القائلون بإعجاز القرآن الكريم في دلالاته ومضمونه، أنّ المقصود بالتَّحْدِي في هذا الموضع من المصحف الشريف هو التَّحْدِي بالمضمون، بقرينة (من) التبعية أولاً³³، ثانياً كون المخاطبين به أكثرهم أعاجم لا يحسنون مادة التَّحْدِي - اللغة العربية-،³⁴ ثم إنّ من أهمّ ما اختصت به آيات سورة البقرة تلك القوة في نفي قدرة المتحدّين على المعارضة، وذلك التصريح الواضح بأبدية هذا العجز والقصور، وهو تصريح يناسب بعض مقاصد سورة البقرة المتعلقة بالحديث عن نظام ومؤسسات دولة الإسلام، فهذا

³² ذكر الإمام الطبري أنّ المقصود بالآية "الفريقين" أي الكفار والمنافقين، جامع البيان 1/362، ونقله عن ابن عباس رضي الله عنهما 1/363. وقد ذهب بعض سلف المفسرين إلى تخصيص طوائف من الكفار بهذا الخطاب، ولعل الجمع بين أقوالهم يقتضي هذا العموم والإطلاق الذي ذكرناه؛ إذ كلّ واحدٍ منهم عني بهذا الخطاب طائفة من حيثة مخصوصة، فاليهود باعتبارهم أوّل المخاطبين بالقرآن المدني من الكفار، ومشركي العرب لأنهم أوّل بالتَّحْدِي من غيرهم باعتبارهم أهل هذا اللسان المتحدّى به... إلخ ينظر زاد المسير لابن الجوزي 1/42

³³ الصواب أنّ هذا التبعض متعلق بحجم التَّحْدِي لا بنوعه، وسنفرّد لبيان الحديث عنه مطلباً خاصاً.

³⁴ سيأتي الردّ على هذه الشبهة في محاضرة خاصة: (إعجاز القرآن الكريم في نظمته ولغته لا في مضمونه ودلالاته).

التصريح وهذا التّحدّي يتناسب مع ما ينبغي أن تكون عليه هذه الدولة من المواجهة والتمكّن والقوة.

• **الآية الثانية:** ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 37-38]. آيات سورة يونس تعرض لأقل ما وقع به التحدي، وقد تحدثنا في دلالات ترتيب النزول عن التدرج في التّحدّي، وعن مراعاة ظروف التنزيل وحالة المخاطبين، ومهما كان الاختيار والترجيح بين أقوال أهل التفسير في هذه المسألة، فإنّ العبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها، والخطاب القرآني يتنوع بتنوع محل الاستدلال به وتنزيله على الواقع، وهذا ما يجعلنا نجزم بأقل ما وقع به التّحدّي في دلالة هذه الآية، ولا نلتفت إلى كونه جاء أولاً أو ثانياً أو آخراً لظنية النصوص والاجتهادات الدالة عليه، ولعدم تعلق هذا الترتيب بعمل بعد نزوله، واعتماد ترتيبه، واستقرار دلالاته... ومن أهم ما ورد في هذه الآية مسألة المماثلة، التي تحتاج إلى دراسة مفردة وبحث خاص... ولعل من أهم ما ينبغي الوقوف عليه في المماثلة، هل هي مطلقة أم مقيدة؟ هل يشترط فيها أن يكون المتماثلان متفقين ومشاركين في كل شيء...؟ وإذا كانت المماثلة تصح بالاشتراك والاتفاق في بعض الخصائص دون بعض، ما هي مميزات وخصائص القرآن التي لا تصحّ المماثلة إلّا بها؟ ومن له الحق أن يحددها؟... إلخ³⁵

• **الآية الثالثة:** ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13] هل هذا التّنزّل في التّحدّي نوع من آليات المحاجّة والجدل؟ قصد بها القرآن الكريم المبالغة في التعجيز؛ فقد فتح بهذا التّنزّل المجال واسعاً أمام معارضيه، ورغم ذلك يتركهم في دهشة من أمرهم وقد بهتوا وكتبوا...، أم أنّه تحديد لميدان التّحدّي ومادته المتحدّى بها؛ فقد خصّ التّحدّي بما يحسنه القوم، بنظم القرآن ولغته، وأباح لهم في مضمونه أن يفتروا ما شأؤوا ويقولوا ما أرادوا... أم هو متعلق

³⁵ هذه المسائل وغيرها سنعرض لها في المحاضرة الخاصة بدراسة مصطلح ومفهوم المماثلة... إن شاء الله تعالى.

بظرف خاص وحالة خاصة قد يتكرر الاحتجاج بها في مختلف الأحوال زمانا ومكانا... كل ذلك ممكن وصحيح ونص الآية يشير إليه ولا يوجد فيها ما يردّه أو يمنعه... والله أعلم.

• الآية الرابعة: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. إن أهم ما يستفاد من هذه الآية، تنزل التحدي من جهة التوسعة على المتحدّين في كيفية المعارضة، فقد أبيحت وأُتيحت لهم المعارضة الفردية والجماعية، على مستوى عالم الإنسان وحده، أو عالم الجن والإنس معا... كما يستفاد منها هذا القطع والجزم -الذي يقتضيه التّحدّي- بعدم قدرة الثقلين على معارضة القرآن الكريم، واستحالة الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض معيناً وظهيراً... وسيأتي في مطلب خاص مزيد بيان وتفصيل عن مسألة تحديّ الجنّ إلى جانب الإنسان في هذه الآية.

دلالات حرف الجرّ (من) في آيات التّحدّي من سورة البقرة:

اختلف أهل التفسير ابتداء في عودة الضمير في (مثله) هل هو للقرآن الكريم أو للرسول الأمين³⁶، وسناقش دلالات (من) في هذا المطلب انطلاقاً من القول الراجح في كون ضمير المثلية يعود على القرآن الكريم، وسنعرض لمجموعة من الآراء والأقوال، ومحاولين تبين الصحيح الراجح منها...

• ومّا ذكر في تناسب هذا الحرف ودلالاته مع سياق الآية والسورة، قول البقاعي في نظم الدرر: "وحكمة الإتيان بمن التبعية في هذه السورة دون بقية القرآن أنه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثل أو سمعوا أن أحداً عثر له على شبهه اقتضى الحال الإتيان بما ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه حكيمة المعاني متلائمة بالمباني منتظم أولها بآخرها كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتيام [الالتئام] والإحاطة بالمباني التي هي كالمعاني..."³⁷

³⁶ ينظر تفصيل ذلك في مقال الأستاذ محسن سميج الخالدي المتقدم ص22 وما بعدها...

³⁷ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1/165.

● وقد يكون الريب الذي ورد في أول السورة هو الذي اقتضى هذا التبعض، من جهة أخرى غير التي ذكرها البقاعي رحمه الله، فالريب والشك قد يدلان على قبول بعض القرآن دون بعض؛ إذ هما نوع من المعرفة المترددة بين طرفين، قبول ورد، إيجاب وسلب، علم وجهل... ونحو ذلك، فجاء التحدي مناسبة لهذا التردد في القبول، يتحداهم ببعضه، سواء كان هذا البعض المتحدى به من جنس ما يؤمنون به فيكون حجة إن استطاعوا المعارضة على بطلان الكل، ويندرج التحدي ها هنا في نوع التحدي الوارد في سورة هود، أو كان هذا البعض من جنس ما يكفرون به، ويعاندون فيه، ويندرج التحدي ها هنا في نوعه المطلق الوارد في باقي آيات التحدي... والله أعلم بالحق والصواب.

● ومما قاله الكرماني في المسألة نفسها: "بزيادة (من) في هذه السورة وفي غيرها (بسورة مثله) لأن (من) تدل على التبعض ولما كانت هذه السورة سنām القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول (من) فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ولم يكن ذلك بالسهل".³⁸ والمعنى أن دخول (من) في سورة البقرة ضروري لكي يفهم منه وقوع التحدي على سور القرآن كلها باعتبارها أول المصحف وليس بين يدي قارئه إلا الفاتحة والبقرة؛ وقد يعتقد أن التحدي لم يقع إلا بهما دون سواهما، وأما آيات التحدي في غير البقرة فلم تفتقر لهذه اللفظة (من) التبعية لعدم الحاجة... والله أعلم بالحق والصواب.

● لا يستبعد أن يقال: (من) ها هنا تدل على مضمون القرآن ودلالاته بقرينة أن التحدي بغيرها أشار إلى لغته ونظمه، ولا وجه للجمع بين (مثله) و(من مثله) إلا بهذا التفريق، فكأن القرآن لا يزال يتنزل في تحديه إلى أن بلغ وجه التحدي بمضمونه دون لغته، ويصلح هذا التوجيه ممن يعتمد مضمون القرآن ودلالاته في أوجه إعجازه، والصواب أن التحدي بلغة القرآن ونظمه يستغرق ويعم التحدي كله، إنما الفرق بين آيات التحدي في حجمه ومستواه، فقد دلّ في موضع على التحدي بما هو أفضل من القرآن، وفي موضع آخر

³⁸ أسرار القرآن الكريم ص 69.

بالقرآن كله، وفي موضع آخر بسورة مثله، وفي آخر بعشر سور مثله في نظمه مغايرة له في مضمونه³⁹.

● زيادة "من" في هذا الموضع دون سواه من بلاغة الإطناب، يقتضيه سياق الآية الحجاجي؛ إذ الحجة القائمة والحاصلة بجزء منها، أبلغ في التأثير والتعجيز من التي لا تقوم الحجة إلا بجميعها، وهي مناسبة لحال المخاطبين؛ فأكثرهم أعاجم يحتاجون إلى شرح وتفصيل أكبر...، وتتماشى مع طول سورة البقرة... وهذا النوع من الزيادة في بناء الكلمات المناسب لطول السور معروف معهود في القرآن الكريم ومن نظائره قوله تعالى (يرتد) في البقرة 217 و (من يرتد) في المائدة 54 فيه شيء من هذا التناسب بين بناء الكلمات وطول سورها والله أعلم.

● من تعود على حجم التَّحْدِي لا على نوعه؛ لأنَّ التبعض والمثلية يعودان على القرآن، فيكون المطلوب بعضا من السور المتعددة والمتنوعة من القرآن الكريم، ولماذا خصَّت هذه السورة بهذه الدلالة دون غيرها؟ لعلَّ السبب كونها أوَّل المصحف تليها كلُّ السور، أو كونها أطول السور وجميع ما يأتي بعدها أقلَّ آيات وأصغر حجما منها، وهي من آخر ما نزل... فغرضها هنا على المعاندين والمكذِّبين أن يختاروا من السور التي بين أيديهم ما شاءوا [شأؤوا] ترتيبا، وحجما، وموضوعا...، ولم تستعمل (من) في سورة يونس رغم أنَّ الدلالة هي هي نفسها؛ لأنَّها من أوائل ما نزل وكأنَّ الاختيار لم يكن بهذه السعة الموجودة في سورة البقرة بين أيدي الكافرين... والله تعالى أعلم بالحق والصواب...

● قد تكون (من) هنا جنسية لا تبعية، أي لبيان الجنس، والمقصود سورة من جنس ومثل ونوع هذا القرآن... ولا حديث عن التبعض أصلا.

● ولحرف الجرّ (من) دلالات أخرى كثيرة لا يستبعد أن تكون بعضها مرادة ها هنا دون البعضية، فقد تحمل (من) معنى (عند) أو (في) أو (ب)... كنحو قوله تعالى:

³⁹ قد فصلنا القول في خصوص هذه المسألة في مقال: إيجاز القرآن الكريم في لغته ونظمه لا في دلالاته ومضمونه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران 10] وكنحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة 9] وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّلَالِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَالِسِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى 45]، وفي ذلك كله تتوجه الدلالة إلى غير التبعض، فيصبح المعنى سورة في مثل القرآن الكريم، وسورة بمثل القرآن الكريم... والله أعلم بالحق والصواب.

مسائل متعلقة بتحدّي الثقّلين الإنس والجنّ:

تحدّي الإنس والجنّ:

من خصوصيات التّحدّي في القرآن الكريم أنّه وقع على الإنس والجنّ كليهما، كل جنس منهما على حدة، أو باشتراكهما وتعاونهما، كما أنّه وُجّه للأفراد والجماعات على حدّ سواء.

ذكر المفسرون في سبب تخصيص الإنس والجنّ بهذا التّحدّي دون سواهما من مخلوقات الله تعالى أقوالاً منها: لأنهما المكلّفان دون سائر مخلوقات الله تعالى، أو لأنّهما المعنيان برسالة النبيّ محمد ﷺ... والصواب أنّ سبب تخصيصهما بهذا التّحدّي هو كون التكذيب بالرسالة جاء من جهتهما دون سواهما بدليل أنّ التّحدّي لا يُخاطَب به المؤمنون المُسلّمون بريانية القرآن الكريم... وأن محاولة المعارضة إنّما تأتي من الكافرين الجاحدين لهذه الريانية، والله أعلم.⁴⁰

وقيل إنّ المقصود بالتّحدّي الإنس دون الجنّ، والجنّ إنّما ذكروا من باب المبالغة في التّحدّي، والمراد بالآية أنّكم معاشر الإنس عاجزون عن معارضة القرآن الكريم، حتّى ولو استعنتم بالجنّ الذين عُرفوا بقدراتهم الخارقة وأعمالهم العجيبة والمستغربة⁴¹، وإذا كان جنس

⁴⁰ ينظر تفسير أبي السعود 5/ 194، روح المعاني للألوسي 8/ 157، فحطان عبد الرحمن ص 17

⁴¹ في حسن الإنس على الأقلّ

الإنس عَجَزَ عن معارضة القرآن الكريم بمساعدة الجنّ، فعجزه عن هذه المعارضة بمفرده أولى وأوكد وأثبت، وضعّف هذا الوجه الألوسي في روح المعاني دون بيان وجه التضعيف والردّ⁴²، والصواب أنّ ظاهر الآية لا ينبغي العدول عنه لمجرد تخمينات وظنون لا موجب لها، خاصة وأنّ الأمر متعلق بالغيب الذي لا يمكن الاطلاع عليه إلاّ بالوحي...⁴³

هل الملائكة معنية بالتّحدّي ؟

وهل الملائكة معنية بهذا التّحدّي؟ أشار أبو حيان الأندلسي (745هـ) إلى احتمال اندراج الملائكة في مسمى الجنّ؛ لخفائهم، ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصفّات: 158] قيل المقصود بالجنة ها هنا الملائكة.⁴⁴ والصواب أنّ الملائكة غير معنية بهذا التّحدّي، من جهة عدم اندراجها في خطاب القرآن الكريم، وفي تكاليفه، ولأجل طاعتها المطلقة وتسليمها للامحود؛ والتّحدّي إنّما يوجّه للمعاندِين والجاحدين والمكذّبين.

كيف نثبت عجز الجنّ عن معارضة القرآن الكريم ؟

إذا كان إثبات عجز الإنس ممكنا انطلاقا من وقوفنا على محاولاتهم معارضة القرآن الكريم، ومن اطلعنا على أدبهم، وأفضل شعرهم وأبلغ خطبهم، فكيف لنا أن نثبت عجز الجنّ، وهم من عالم موازي خفيّ، خارج عن حدودنا الحسية؟
قيل لا سبيل لمعرفة ذلك إلاّ بإخبار النبي ﷺ فهو الذي أخبرنا بتكليفهم وبمخاطبتهم بالقرآن وبسماعهم له وتحديهم به وعجزهم عنه... ولا سبيل لمعرفة ذلك بوسائل أخرى؛ فعلمنا منفصل عن عالمهم الذي يندرج في علم الغيب، والذي لا سبيل لمعرفته إلاّ بالوحي.⁴⁵

⁴² ينظر: البرهان للزركشي 2/111، روح المعاني 8/158.

⁴³ وقد خصصنا مقالا مستقلا نتناول فيه مسألة إعجاز القرآن الكريم للحجّ - سهل الله إتمامه وإتقانه -

⁴⁴ البحر المحيط 7/ 108، روح المعاني للألوسي 8/158.

⁴⁵ ينظر: قحطان عبد الرحمن الدوري ص 17

ويرى الباقلاني أنّ إثبات عجز الجنّ يمكن من خلال تتبع أدبهم وأشعارهم وخطبهم التي ترويهما العرب عنهم، ومثّل بكلام منسوب للغيلان، وشيء من شعر تأبّط شرّاً، وشُمير بن الحارث، وعُبيد بن أيوب، وذي الرُّمة، وامرئ القيس⁴⁶... ووجه إعجاز القرآن في حقّهم خروجه عن عادة كلامهم، ومّا قاله في حقّهم: "إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، وما يروون لهم من الشعر، ويحكون عنهم من الكلام، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم، والقدر الذي نقلوه [من ذلك] قد تأملناه، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس، ولعله يقصر عنها..."⁴⁷

تُعقّب الباقلاني بكون المنقول عن الجنّ من خطب وأشعار هو أدب محكي عنهم بلغة الإنس، لا بلغتهم الأصلية... ولا وجه للحكم على فصاحة وبلاغة كلام مترجم محكي بغير لغته الأصلية⁴⁸.

وردّ القاضي عبد الجبار على من احتج بعدم وقوفنا على معارضة الجنّ للقرآن الكريم بقوله: "... قد بيّنّا أنا نعتبر في كون القرآن ناقضاً للعادات، العادة المعروفة دون ما لا نعرفه من العادات، فإذا لم يمكن لنا في العقل طريق إلى معرفة الجنّ أصلاً لأنهم لا يُشاهدون ولا تعرف أحوالهم بغير المشاهدة، فقد كفانا في معرفة كون القرآن معجزاً، خروجه عن عادة من تعرف عاداته.... يبيّن ذلك أنّه ﷺ لو لم يخبرنا بالجنّ، كنا لا نعلم إيمانهم أصلاً، وكان لا يقدر في العلم بأنّ القرآن معجز، وكذلك القول في فقد المعرفة بحالهم، ولولا الخبر الوارد كنا لا نقول إنّ المعارضة متعذرة فكان لا يقدر في كون القرآن معجزاً، وكان يحل ذلك محل أن يجعل دلالة نبوته تمكّنه من حمل الجبال الراسيات وطمر البحار، في أنّ ذلك إن تعذر على الإنس فقد صار دالاً على نبوته وإن لم نعلم تعذره على الجنّ أو الملائكة."⁴⁹

⁴⁶ إعجاز القرآن ص 39....

⁴⁷ إعجاز القرآن ص 39

⁴⁸ الإعجاز البياني لعائشة بنت الشاطئ: 72-73، قحطان عبد الرحمن الدوري ص 18

⁴⁹ (الإعجاز البياني، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ص 72-73، أحالت على المغني للقاضي عبد الجبار 16/279، العودة إلى المصدر المغني والتأكد من النص وسياقه)

والذي أراه والله أعلم أنّ عجز البشر بالنسبة للبشر يكفي في إثبات إعجازه وعجز الجنّ يكفي في إثبات إعجازه للجنّ لأنّ الجنسين مكلفين في حدود عالميهما ولم يكلفا التعامل أو العلم أو الانتقال إلى عالم غيرهما... فنحن مكلفون بإثبات عجز جنسنا في عالما، وهم بدورهم مكلفون بإثبات عجز جنسهم في عالمهم؛ وتعبّد وتكليف كلّ جنس محله حدود عالمه، ولم يكلف الإنس بالبحث في عالم الجنّ والله أعلم بالحقّ والصواب.

هل تحدّي القرآن الكريم خاص بزمان النبوة ؟

قد يستغرب البعض إدراج هذه المسألة ودراستها، زاعما أنّها مخالفة لحفظ القرآن الكريم وسريان خطابه واستمرار أحكامه وصلاحيته لكل زمان ومكان، لكنهم لو وقفوا على أدلّة وشبه القائلين بكون التحدّي خاص بزمان الوحي سيجدونها شبيها قائمة، وحججا يراها أصحابها مفحمة، وكلّ ذلك يحتاج ويستدعي ولا بدّ وقفة تحقيق لهذه المسألة ودراسة تدقيق لأدلة هذا الفريق.

فقد نُسب للإمام الباقلاني قوله أنّ الحجة في إعجاز القرآن بلغته إنما قامت في زمن الوحي ونزول القرآن، حيث بلغ فيه العرب الغاية في البلاغة والنهاية في الفصاحة، وأنّ جميع من جاء بعدهم لم يرق لمستواهم مهما اجتهد وأتقن فن الكلام وأبدع في صناعته... وإذا كان العرب في ذروة بلاغتهم، وفي مرحلة كانوا أحوج ما يكونون إلى إبطال دعوة القرآن الكريم، عجزوا عن هذه المعارضة، فإنّ من جاء بعدهم تبع لهم في هذا العجز...

ومّا ينقل عن عبد القاهر الجرجاني في الرسالة الشافية قوله: "... لا يجوز أن يدعي للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي ﷺ الذي نزل فيه الوحي، وكان فيه التحدي، أنهم زادوا على أولئك الأولين، أو كملوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكملوا له. كيف؟ ونحن نراهم يحملون عنهم أنفسهم، ويبرؤون من دعوى المدانة معهم، فضلاً عن الزيادة عليهم، هذا خالد بن صفوان يقول: "كيف نجاريهم وإنما نحكيهم؟ أم كيف نسايقهم، وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعرافهم؟".⁵⁰ اهـ

⁵⁰ الرسالة الشافية ص 118.

والصواب أنّ تحدّي القرآن الكريم دائم دوام القرآن نفسه، ومستمر استمرار القرآن ذاته، وأنّ الثقلين مخاطبون بهذا التحدّي كمخاطبتهم بآياته جميعها، وأحكامه كلّها، وما ذكره من قيام الحجة على البشرية جمعاء من خلال عجز العرب الذين حُوطبوا بالقرآن أول مرة، لا يلزم من جهات عدّة، أولها ظنية هذه المقدمة، كون العرب الذين نزل فيهم القرآن هم أبلغ وأفصح من تكلم بهذا اللسان، لماذا لا يكون بعض من قبلهم أو من جاء بعدهم في مستواهم اللغوي أو أفضل منهم؟ وقد توفي أشعر العرب كامرئ القيس وزهير وغيرهما قبل نزول القرآن الكريم، ومن شهد لهم بالتقدم والتفوق في اللسان وصناعة الكلام بعد نزول القرآن الجاحظ والمتنبئ وابن المقفع...، ثم إنّ هذا القول يلزم منه أنّ الحجة لم تقم على العرب في زمن النبوة إلا من جهة عجز أبلغهم وأفصحهم... وسيستمر هذا التسلسل في الاستدلال إلى أن يستقرّ على واحد من المخاطبين دون سواه، لأنّه أبلغ وأفصح النّاس، وحجّة الإعجاز حينها تقتضي تعيينه وتحديده، وأتّى لأصحاب هذا القول أن يفعلوا ذلك.

كما أنّ نصّ التحدّي قد سوّى بين جميع المُخاطَبين، بل صريح دعوة الإنس والجنّ، والأفراد والجماعات تقتضي التسوية بين الفصحاء وغيرهم... فلا مجال ولا حاجة للتفريق في الإعجاز بين العربي والعجمي، ولا بين البليغ والعبيّ...⁵¹

⁵¹ ينظر: قحطان عبد الرحمن الدوري (عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت) دار البشير عمان - مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ 1997م، ص 47 نسب القول الأول بالتضعيف للباقلاني، ولعائشة بنت الشاطئ ص 75 من الإعجاز البياني، ونسب القول الثاني إلى كلّ من السيد أحمد صقر (إعجاز القرآن للباقلاني هامش ص 8)، وسيد قطب (الظلال 1/54، 7/605)، ومحمد عبد الله دراز (النبا العظيم 85)، ومغنية (التفسير الكاشف محمد جواد مغنية 1/66)، وقد رجّح كون الباقلاني من القائلين باستمرارية التحدّي، ص 48، وهذا هو الصواب وما صدر من الباقلاني في هذا الشأن إنما قاله من باب الحاجة والاستدلال على حجية التحدّي وإعجاز القرآن في زمن نزوله وبعده...

هل تحدّي القرآن الكريم في إعجازه خاصٌ بالعرب دون غيرهم ؟

لا تختلف هذه المسألة كثيراً عن التي قبلها، سواء من حيث استدلال القائلين بالتفريق، أو من حيث الردّ عليهم وإبطال دعوتهم، فقد ذهب غير واحد من أهل العلم إلى أنّ التحدّي في الإعجاز موجهٌ للعرب دون العجم، بدليل قصور العجم عن فهم اللسان العربي، ومن شروط التحدّي أن يُوجّه لمن يحسنه ويتقنه... قال عبد القاهر الجرجاني في الرسالة الشافية: "إنّ الأصل والقدوة فيه العرب، ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيه عنهم..."⁵² وكأنّ ثبوت قصور العرب هو الأصل في إعجاز القرآن الكريم؛ لأنّهم المخاطبون بالتحدّي وغيرهم قصورهم إنما ثبت من جهة كونهم دون العرب في الفصاحة، وأن لا سبيل للوقوف على إعجاز القرآن الكريم بالنسبة للعجم إلّا من جهة ثبوت عجز العرب عن معارضته قال الباقلاني: "لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن إلّا بأن يعلموا أنّ العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا - بأن علموا أنّهم قد تُحدّوا إلى أن يأتوا بمثله، وقُرّعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا به - تبينوا أنّهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز."⁵³

إضافة إلى ما تقدم ذكره في فرع تخصيص التحدّي بزمان نزول القرآن، من عموم الخطاب وإطلاقه، وعدم تفريقه بين مختلف المتحدّين باعتبار عددهم وجنسهم ومكانهم وزمانهم ولغاتهم... نزيد هنا هذه المسألة بيانا من جهة كون اللغة ممكنة الاكتساب فلا مانع من تحدّي العجم بلغة العرب لإمكانية تعلمها وإتقانها، وقد وُجد في تاريخ هذه اللغة من الأعاجم من أتقنها بل وأصبح من المنظرين لها، كسيبويه، وابن جني وابن معطي، وابن أجيروم... ثم إنّ مستويات اللغة التي وقع بها الإعجاز، وفنون الكلام، وقوانينه، ونظمه... قد يتعدى إتقانه ومعرفته اللغة الواحدة إلى لسان البشر كلّهم، فقد ظهرت ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي نظريات لغوية ولسانية تشمل اللغات كلّها، من بين

⁵² الرسالة الشافية ص 117-118.

⁵³ الباقلاني، إعجاز القرآن ص 113.

هذه النظريات ما ينظر إلى تناسق أصوات اللغات، وما يبحث في استمرارية اللغات وحياتها وفنائها، وما يبحث في موازين وقوانين بنائها وتركيب مفرداتها، وما يبحث في الموازنة بينها... وكل هذا وزيادة يمكن أن ينظر فيها الأعجمي كالعربي ويستدل بها على إعجاز لغة القرآن الكريم...

فوائد وغايات آيات التحدي:

1. هي من دلائل صدق النبوة من جهات عدة نذكر أهمها:

أولاً: من جهة تحدي القرآن الكريم لمخاطبيه حالة ضعف الدعوة وقلة المنتسبين للدين، والأصل في التحدي أن يقع من القوي الوثاق في نفسه، لكن رسول الله ﷺ تحدى العرب، والبشرية كافة، بل تحدى الثقيلين، الإنس والجنّ بهذا القرآن وهو أضعف ما يكون، محاصراً، مطارداً، مشرداً، يوصف بالسحر، ويرمى بالجنون، ويلمز بالشعر، أصحابه يُعذّبون ويُهجّرون... في هذه الحالة من الغربة الاستضعاف يُعلن رسول الله ﷺ تحديه بالقرآن الكريم، وما هذا إلاّ لأنّه قوي بمعية الله تعالى، واثق بما يعلمه من الغيب، صادق في قوله، أمين لما معه من الوحي...⁵⁴

ثانياً: هذا الجزم بأنّ المعارضة والاستجابة لهذا التحدي لن تكون، ولن يستطيع ذلك إنس ولا جانّ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿[البقرة 23-24] وهذا النفي الذي يستغرق حاضر النبي ﷺ الذي يعيش فيه، ومستقبله الذي لا علم له به، إلاّ بما يوحى إليه... أكبر دليل على صدقه وثبوت نبوته ﷺ، وما كان لرجل وُصف بالعقل والأمانة والصدق من قبل

⁵⁴ ينظر مقال عبد الدائم الكحيل، آيات التحدي دليل على صدق القرآن، نشر على موقعه الخاص "أسرار الإعجاز العلمي"

(د.ت.): <http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-20-16/637-2012-12-15-23-45-38>

وقفت عليه بتاريخ 2/10/2021م.

أعدائه أن يقدم على مثل هذه المجازفة لو لم يكن متيقنا مما يقول، ولا سبيل للتيقن من مثل هذه الحقائق والأخبار إلا بالوحي.

ثالثاً: من دلائل صدق النبوة إخبار آيات التَّحْدِي بعدم قدرة المتحدين على معارضة القرآن، وقد مضى خمسة عشر قرناً ولم يقدر على معارضته أحد من البشر، فهذا من الإخبار بالغيب التي لا يعلمها إلا نبي يوحى إليه.⁵⁵

رابعاً: ذكر غير واحد من المفسرين وعلماء الإعجاز أنَّ من دلائل النبوة⁵⁶ صرف المتحدين عن معارضة القرآن الكريم، تماماً كما نصت على ذلك آية التَّحْدِي في سورة البقرة...⁵⁷

2. تثبت فؤاد النبي ﷺ وتقوية إيمان و يقين المؤمنين أجمعين، فهم بمثل هذا التَّحْدِي يشعرون بمعية الله تعالى، ويجزمون ويوقنون برنانية القرآن الكريم وصدق النبوة وعجز البشر أجمعين أمام قدرة الله عزَّ وجلَّ وعظمته.

3. بالتَّحْدِي يثبت ويتقرر إعجاز القرآن الكريم لمن ليس من أهل التَّحْدِي، ولا تتوفَّر فيه كفاءة وأهلية المعارضة، فمن لا دراية له بالفصاحة والبلاغة يتأكَّد من إعجاز القرآن الكريم في لغته ونظمه من خلال تحدي القرآن وعدم قدرة المتحدين على المعارضة.⁵⁸

⁵⁵ أحكام الجصاص 1/49

⁵⁶ بل صنفوا ذلك في أوجه إعجاز القرآن الكريم....

⁵⁷ ينظر: أحكام الجصاص 1/34

⁵⁸ ينظر: التحدي بالقرآن، محسن سميح الخالدي ص 4 (د ب).

التَّحْدِي بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً لَا مَجَازاً⁵⁹:

كثيراً ما يفرق علماء الكلام ومنتسبو الفرق الإسلامية بين نوعين من كلام الله تعالى، كلامه القديم المتعلق بذاته المقدسة، وكلامه الحادث المتعلق بالصور المكتوبة والأصوات الملفوظة، ويذكر أكثرهم أنّ التَّحْدِي وقع بالنوع الثاني الحادث دون الأول، لعدم علمنا بحقيقة الأول، ولأنّه ليس في طوق البشر واستطاعتهم بل ليس في حدود إدراكهم ومعرفتهم أصلاً.⁶⁰

وسنخصّ هذه المسألة بملاحظاتٍ من شأنها أن تُجَلِّيَ مسألة حقيقة التَّحْدِي بكلام الله تعالى.

- ابتداءً نثبت لله تعالى صفة الكلام بلا تأويل ولا تعطيل ولا تجسيم.
- القول بالتفريق بين كلام الله تعالى من حيث اللفظ والمعنى ومن حيث التعلق بالذات المقدسة أو بالصور والأصوات، قول مُخَدَّث أُحْدِثَ بعد المائة الثالثة⁶¹، بل إنّ الكلام من حيث أصله، ونوعه، وجنسه جميعه منسوب إلى الله تعالى، لا نفَرِّقُ بن هذا وذاك إلّا بما فَرَّقَ به الوحي نفسه
- كلام الله تعالى أعم وأشمل من القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى لا يزال يتكلم بما شاء ومتى شاء قبل نزول القرآن الكريم وأثناء نزوله وبعد نزوله، بل وبعد رفعه كذلك... والمُتَّحَدِّي به هو خصوص القرآن الكريم.
- كلام الله تعالى نوعه "قديم" متعلق بذات الله المقدسة مثله مثل نزوله وسمعه وبصره، وجنسه حادث انطلاقاً من كونه لا يزال يتكلم بما شاء ومتى شاء... والقرآن من هذا

⁵⁹ ينظر تفصيل هذه المسألة في مقال: الباقلاني ص 260 وما بعدها...، والتَّحْدِي بالقرآن الكريم، محسن سميح الخالدي، (د ب) ص 4 وما بعدها.

⁶⁰ في خصوص حقيقة كلام الله تعالى مذاهب وعقائد عرفت عن ذكرها وتبعتها ؛ لأنّ هذا ليس موضوعنا، ولا يهمنا، نحن نختتم فقط بالبحث في إعجاز القرآن الكريم من حيث إثباته أولاً وأوجهه ثانياً... لهذا لم أذكر إلّا قولين من يرون بإعجاز القرآن العربي الملفوظ وإن اختلفوا في حقيقته...

⁶¹ مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية 12 / 243.

الجنس، كنزوله كل ليلة في الثلث الأخير منها إلى السماء الدنيا، وكسمعه مناجاة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

● إِنَّ مَّا يُؤَكِّد هذه النسبة للكلام - بلفظه ومعناه - الله سبحانه وتعالى خصوصيته ودلالاته التي لا يمكن الوقوف على نهايتها وحقيقتها إلا انطلاقاً من هذه الأصوات ذاتها، فلا يمكن لتفسير مهما بلغ من الدقة والتحقيق، ولا لترجمة مهما أدركته من الإتقان والإحسان، أن يعوضاً حقيقة كلام الله، على خلاف باقي كتب الله سبحانه وتعالى فالمتعمد عندهم - اليوم وقديماً - هي النصوص المترجمة ويعتبرونها هي كلام الله تعالى...⁶²

● إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ينسب إلى الله تعالى بصوره ولفظه ومعناه، أما الأصوات المسموعة من المرتلين، والخبير المستعمل في كتابته، والدلالات والمعاني المستنبطة من لفظه، هذا كله مخلوق ننسبه لأصحابه.

الخاتمة:

في ختام هذا المقال يجدر بنا أن نقف على بعض أهم نتائجها، وهي كالاتي:

- إِنَّ الركن الركين الذي لا يصح الإعجاز دونه هو التَّحْدِي.
- التَّحْدِي هو الذي يُفَرِّق بين مطلق دلالات البراهين والآيات والبيّنات... وبين مفهوم المعجزة.
- لا يصحّ التَّحْدِي إلا بشروط وأركان، بعضها شرعي سماعي استفدناه من نصوص الوحي، وبعضها عقلي قياسي استفدناه مما يمليه العرف والمنطق... وقد فصلت هذه الدراسة في هذه الشروط جميعها وبيّنتها وفصلت القول فيها...

⁶² ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 6/573

- تنوعت آيات التَّحْدِي في القرآن الكريم، وقد تتبعت هذه الدراسة تفسيرها ودلالاتها باعتبار المؤشر الزمني المتعلق بنزولها، والمؤشر الموضوعاتي المتعلق بسبب نزولها... وحاول أن تستنبط من ذلك كله حقيقة هذا التحدي وفوائده وكثير من مسأله.
- التَّحْدِي في القرآن الكريم تَمَّ بلغته ونظمه لا بمضمونه.
- التَّحْدِي وقع على العرب والعجم، وعلى الإنس والجن، وعلى الأفراد والجماعات، وعلى زمن النبي ﷺ وعلى من بعده من الأزمنة.
- التَّحْدِي وقع بكلام الله تعالى حقيقة لا مجازا....
- للتَّحْدِي فوائد كثيرة أكثرها متعلق بدلائل النبوة، وبعضها متعلق بالجانب الدعوي والتربوي، وبعضها بإثبات إعجاز القرآن الكريم....

ثم أختتم بالتوصية الأهم والأجل، وهي كون هذه الدراسة ما هي إلا مقدمة تنتظر نتيجهها، وآلية تنتظر تطبيقها، من خلال البحث في تطابق حقيقة التَّحْدِي مع أوجه إعجاز القرآن الكريم المزعومة، فإن أكثر هذه الأوجه تفتقد أصل التَّحْدِي، أو شيئا من شروطه وأركانه، وهذا يعني بطلانها بالضرورة... بينما هناك أوجه أخرى نجدها متمثلة تمام التمثيل بعنصر التحدي وأركانه وشروطه..

كما أصي بمواصلة البحث في أصول علم إعجاز القرآن الكريم، كالبحث في المماثلة المطلوبة، وفي حقيقة المعارضة، وتاريخ علم الإعجاز.... إلخ.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط.1، 1429هـ - 2008م.
2. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1415هـ.
3. الباقلائي، المؤلف: أبو بكر الباقلائي محمد بن الطيب (403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط.5، 1997م.
4. أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ت).
5. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت.).
6. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (728هـ)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1408هـ - 1987م.
7. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
8. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (471هـ)، الرسالة الشافية (ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط.3، 1976م.
9. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1422هـ.
10. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت.).
11. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

12. الخليل: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ت).
13. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 1، 1987م.
14. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (982هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
15. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. 1، 1417هـ 1996م.
16. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط. 1، 1424هـ - 2004م.
17. رينهارت بيتر آن دوزي (1300هـ)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق: ج 1 - 8: محمد سليم النعيمي، ج 9، 10: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط. 1، من 1979 - 2000م.
18. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت، ط. 5، 1420هـ / 1999م.
19. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الهداية (د ت).
20. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط. 1، 1376هـ - 1957م.
21. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. 1، 1420هـ - 2000م.
22. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف القاهرة، ط. 3، (د ت).
23. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ - 1979م.

24. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومركز تحقيق التراث لمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.8، 1426هـ - 2005م
25. فحطان عبد الرحمن الدوري (عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت)، التحدي في آيات الإعجاز، دار البشير عمان - مؤسسة الرسالة بيروت، ط.1، 1417هـ - 1997م. [أصل الكتاب يعود لذي الحجة سنة 1410هـ - جوان 1990م]
26. قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (302هـ)، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط.1، 1422هـ - 2001م.
27. القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ترجمة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1421هـ - 2000م.
28. الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، ويعرف بتاج القراء (نحو 505هـ)، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة (د ت)
29. محمد عميم الإحسان المحددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1424هـ - 2003م (مصورة عن الطبعة الباكستانية القديمة).
30. نشوان بن سعيد الحميري اليميني (573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإيراني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، بالاشتراك مع دار الفكر، دمشق، ط.1، 1420هـ - 1999م.
31. الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (401هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط.1، 1419هـ - 1999م.
32. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو 395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت).

مقالات:

1. إعجاز القرآن آيات التحدي، لمحمد سعاد جلال، مجلة منبر الإسلام، السنة العشرون العدد 4 جمادى الآخرة 1382هـ ابتداء من الصفحة 113. المقال منشور في موقع مجلات نور المتخصصة:

<https://www.noormags.ir/view/ar/articlepage/624483/%d8%a5%d8%b9%d8%ac%d8%a7%d8%b2-%d8%a7%d9%84%d9%82%d8%b1%d8%a2%d9%86->

%d8%a2%db%8c%d8%a7%d8%aa-
%d8%a7%d9%84%d8%aa%d8%ad%d8%af%db%8c

2. التحدي بالقرآن الكريم، محسن سميح الخالدي (رئيس قسم أصول الدين جامعة النجاح نابلس)، (د ب)

<https://www.alarabimag.com/books/16055%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85.html>

<https://ar.islamway.net/article/58182/-16-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B5%D8%AF-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D9%8A%D9%88%D9%86%D8%B3>